مفهوم الأمانة في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

دكتور

سالم عبد الخالق عبد الحميد السكري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل فى محكم تنزيله: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾(١).

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الغمة، وجاهد فى سبيل ربه حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير ما جزيت به نبيا عن أمته ورسولا عن قومه.

وبعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الخالد، وقد أنزله على رسوله- ﷺ- لهداية الخلق إلى طريق الحق، قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾(٢)، وقال:﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾(٣).

ومن هدايات القرآن المتعددة: دعوته إلى التحلى بمكارم الأخلاق كالصدق والعدل والأمانة وغيرها، فالأمانة خلق عظيم من الأخلاق التى دعا إليها القرآن الكريم، ومن الصفات الواجبة للرسل- عليهم السلام، ومن أهم صفات المؤمنين، كما أن الخيانة من صفات المنافقين.

(١) الآية (٧٢) سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٩) سورة الإسراء .

(٣) الآية (٧٧) سورة النمل .

وقد اخترت أن يكون موضوع هذه الدراسة عن : " مفهوم الأمانة " وذلك نظرا لما للأمانة من أهمية كبيرة فى حياة الأمم والمجتمعات، فبدونها فساد العالم وخراب العمران.

خطة البحث

وقد تناولت هذا الموضوع فى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

• فأما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وخطة البحث.

• وأما التمهيد: فيشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أنواع التفسير وموقع التفسير الموضوعى منها.

المطلب الثانى: ورود مادة الأمانة فى القرآن الكريم.

المطلب الثالث: تعريف الأمانة فى اللغة والاصطلاح.

•وأما المبحث الأول فعنوانه: عناية القرآن الكريم بشأن الأمانة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوة القرآن الكريم إلى الأمانة وترغيبه فيها.

المطلب الثانى: الأمانة من الصفات الواجبة للرسل- عليهم السلام.

المطلب الثالث: الأمانة من أهم صفات المؤمنين.

•وأما المبحث الثانى فعنوانه: أنواع الأمانة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أمانة العبد مع ربه عزوجل.

المطلب الثانى: أمانة العبد مع الناس.

•وأما المبحث الثالث فعنوانه: مفهوم الخيانة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الخيانة وورودها في القرآن

المطلب الثانى: أثر الخيانة على الفرد والمجتمع.

•وأما الخاتمة: فأذكر فيها أهم نتائج البحث.

وبعد: فهذا البحث ما هو إلا مساهمة متواضعة فى خدمة الكتاب العزيز الذى:

﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾(١).

فإن كنت قد وفقت فمن الله تعالى وهو حسبى ونعم الوكيل، وإن كانت الأخرى فمنى ومن الشيطان، وحسبى أننى اجتهدت، والخير قصدت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

(١) الآية (٤٢) سورة فصلت .

التمهيد

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

أنواع التفسير وموقع التفسير الموضوعى منها

يتنوع التفسير باعتبار طرائق المفسرين إلى أربعة أنواع(١):

الأول: التفسير التحليلى: وهو الذى يتبع فيه المفسر ترتيب المصحف، فيشرح جملة من الآيات، أو سورة، أو القرآن كله على هذا النمط الموضعى، ويبين ما يتعلق بكل آية من: مناسبتها، وسبب نزولها، ومفرداتها، ونحو ذلك مما يتقرر به معناها.

الثانى: التفسير الإجمالى: هو الذى يبين فيه المفسر خلاصة معنى الآية أو الآيات التى يفسرها، ويبرز مقاصدها، ويشرح الدقيق من ألفاظها، وسبب نزولها حتى يتقرر المعنى العام بلا دخول فى تفاصيل كثيرة.

الثالث: التفسير المقارن: وهو الذى يتتبع فيه المفسر آية من القرآن، أو جملة من الآيات، ليستطلع آراء المفسرين فيها، ويقارن بين أقوالهم، ويستخلص نتائج المقارنة سواء من معانى الآيات الكريمة، أو من كلام المفسرين، وذلك كآيات الحج فى سورته، أو آيات الصيام فى سورة البقرة، إذا عرضت على أقوال المفسرين سلفا وخلفا، وفى كتب المأثور أو الرأى

(١) المدخل إلى التفسير الموضوعى للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد صـ ١٦، ١٧. التفسير الموضوعى بين
النظرية والتطبيق للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى صـ ٢٧، ٢٨.

المحمود.

الرابع: التفسير الموضوعى: وهو الذى يجمع فيه المفسر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد، على مستوى القرآن كله، أو مجموعة من سوره كالحواميم مثلا، ويؤلف منها موضوعا واحدا مترابط العناصر.

• هذا وترجع أهمية التفسير الموضوعى من بين هذه التفاسير إلى ما يلى:

١- التفسير الموضوعى من العوامل الأساسية فى حل مشكلات المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أساس القرآن، فمن المتفق عليه أن مسلمى هذا العصر يعانون من مشكلات خطيرة عديدة، ومن المتفق عليه أيضا أن حل هذه المشكلات أساسا فى القرآن، وعندما يبحث الباحثون فى التفسير الموضوعى فإنهم يقدمون للمسلمين الحلول القرآنية لمشكلاتهم العديدة.

٢- التفسير الموضوعى وسيلة ضرورية منهجية لتقديم القرآن تقديما علميا منهجيا لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة القرآن، وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة وسيلة وأداة لهذا العرض.

٣- التفسير الموضوعى كفيل ببيان مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عموما، وإلى الإسلام والقرآن خصوصا، وإقناعه بأن هذا القرآن هو الذى يحقق له حاجاته ومتطلباته.

٤- بالتفسير الموضوعى تظهر الحيوية الواقعية للقرآن، وتتحقق المهمة العلمية الحركية للقرآن، فلا ينظر الباحثون إلى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة نزلت قبل خمسة عشر قرنا، وإنما يعرضونها فى صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية، وتهتم بمسلمين أحياء متحركين، وهذا هو البعد الحى للقرآن الكريم.

٥- التفسير الموضوعى يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن، ويحقق هذه المقاصد والأوليات القرآنية فى حياة المسلمين.

٦- التفسير الموضوعى يعيد توثيق الصلة القرآنية لمختلف العلوم الشرعية الإسلامية، يعرض هذه العلوم الشرعية على أساس توجيهات وحقائق القرآن، وبه يتم إلغاء كل ما لا يتفق مع القرآن من هذه العلوم.

٧- بالتفسير الموضوعى يتم تقديم مناهج الدعوة والحركة والإصلاح، ويتعرف الدعاة والعاملون للإسلام على حقائق القرآن فى فقه الدعوة والجهاد والتغيير.

٨- التفسير الموضوعى أساس التأصيل القرآنى للعلوم والموضوعات والمعارف الإنسانية والحضارية المختلفة التى يقبل عليها المثقفون فى هذا العصر، كعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم التربية، والثقافة، والحضارة، والإنسانية، والتقدم.

٩- بالتفسير الموضوعى ينفذ الباحثون أمر الله لهم بتدبر القرآن، وإمعان النظر فيه، وإحسان فقه وفهم نصوصه وتأويلها.

١٠- بالتفسير الموضوعي يصل الباحثون إلى الغاية من الآيات والموضوعات القرآنية،

والتفاسير السابقة الموضعية التحليلية هى وسيلة إلى هذه الغاية، وتمهيد لهذه النتيجة[١]. ا.هـ باختصار

(١) انظر : التفسير الموضوعى بين النظرية والتطبيق صـ ٤٩-٥٠، المدخل لدراسة التفسير الموضوعى
صـ ٤٠ - ٥٥ .

المطلب الثانى

ورود مادة الأمانة فى القرآن الكريم

وردت مادة (الأمانة) فى آيات متعددة وفى مواضع مختلفة من القرآن الكريم، فقد وردت مفردة وأحيانا مجموعة، وأيضا جاءت بلفظ المصدر وأحيانا جاءت بلفظ الفعل، وأحيانا أخرى وردت على وزن فعيل (كأمين) بمعنى اسم المفعول.

ومن المعلوم عند علماء القرآن أن القرآن الكريم منه ما هو مكى نزل قبل الهجرة، وما هو مدنى نزل بعدها، والمتتبع لآيات الأمانة ومواضعها فى القرآن الكريم يجد أن عدد الآيات الواردة فيها ألفاظ الأمانة إحدى وعشرون آية[1]، منها ست عشرة آية مكية، وخمس آيات فقط مدنية، وفيما يلى بيان ذلك:

١- الآيات المكية:

قوله تعالى- على لسان هود عليه السلام: ﴿**أبلغكم رسلات ربى وأنا لكم ناصح أمين**﴾[2]، **وقوله:** ﴿**قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون**﴾[3]، ﴿**وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال: إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾[4]، ﴿**قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على**

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (أمن) صـ ١٠٩، معجم الاعلام والموضوعات فى القرآن الكريم للدكتور عبد الصبور مرزوق جـ ١ صـ ٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) الآية (٦٨) سورة الأعراف .

(٣) الآية (١١) سورة يوسف .

(٤) الآية (٥٤) سورة يوسف .

أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين﴾(١)، **﴿والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون﴾**(٢)، **﴿إنى لكم رسول أمين﴾**(٣).

قالها نوح عليه السلام لقومه، وقالها هود لقومه، وقالها صالح لقومه، وقالها لوط لقومه، وقالها شعيب لقومه، قوله تعالى: **﴿نزل به الروح الأمين﴾**(٤)، **﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين﴾**(٥)، **﴿إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾**(٦)، **﴿أن أدوا إلى عباد الله إنى لكم رسول أمين﴾**(٧)، **﴿والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون﴾**(٨) **﴿مطاع ثم أمين﴾**(٩).

٢- الآيات المدنية:

قوله تعالى: **﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى ائتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة**

---

(١) الآية (٦٤) سورة يوسف .

(٢) الآية (٨) سورة المؤمنون .

(٣) الآية (١٧٨،١٦٢،١٤٣،١٢٥،١٠٧) سورة الشعراء .

(٤) الآية (١٩٣) سورة الشعراء .

(٥) الآية (٣٩) سورة النمل .

(٦) الآية (٢٦) سورة القصص .

(٧) الآية (١٨) سورة الدخان .

(٨) الآية (٣٢) سورة المعارج .

(٩) الآية (٢١) سورة التكوير .

ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾** (٢)، ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾**(٣)، ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾**(٤)، ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾**(٥).

وإذا نظرنا إلى هذه الآيات المكية والمدنية يظهر لنا أمران هامان:

الأمر الأول:

أن أكثر الآيات المكية سيقت على سبيل الحكاية، فبعضها ذكر وصفا لسيدنا جبريل- عليه السلام- مثل قوله تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين﴾**(٦)، وقوله: ﴿**مطاع ثم أمين﴾**(٧)، أو ذكر وصفا للمؤمنين مثل قوله تعالى:

(١) الآية (٢٨٣) سورة البقرة .
(٢) الآية (٧٥) سورة آل عمران .
(٣) الآية (٥٨) سورة النساء .
(٤) الآية (٢٧) سورة الأنفال .
(٥) الآية (٧٢) سورة الأحزاب .
(٦) الآية (١٩٣) سورة الشعراء .
(٧) الآية (٢٣) سورة التكوير .

﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾(١).

والقول على سبيل الحكاية والقصص، أو على سبيل الوصف للمؤمنين كتمهيد للتشريع من سمات آيات العهد المكى بخلاف الآيات المدنية فالغالب عليها طابع الأمر والنهى لأنها عنيت بالتشريع مثل قوله تعالى:﴿**فليؤد الذى ائتمن أمانته**﴾(٢)، ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾(٣)، ﴿**لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾(٤).

الأمر الثانى:

أن لفظ الجلالة (الله) ذكر فى الآيات المكية ثلاث مرات فى ثلاث آيات من ست عشرة آية وذلك بخلاف الآيات المدنية وهى خمس آيات فقط إلا أن لفظ الجلالة (الله) ذكر فيها تسع مرات، وذلك- كما يقول علماء التفسير- لتربية المهابة وللإشعار بعظم الأمانة التى عرضت على السموات والأرض والجبال فأبت حملها، لأن المقام مقام تشريع وليس مقام قصص كما فى الآيات المكية، ولكل مقام مقال.

***

(١) الآية (٨) سورة المؤمنون .
(٢) الآية (٢٨٣) سورة البقرة .
(٣) الآية (٥٨) سورة النساء .
(٤) الآية (٢٧) سورة الأنفال .

المطلب الثالث

تعريف الأمـانة

١ - الأمانة فى اللغة:

الأمانة فى اللغة ضد الخيانة كما أن الأمن ضد الخوف، قال ابن منظور فى لسان العـرب: الأمانة والأمنة: نقيض الخيانة لأنه يؤمن أذاه، وقد أمنه وأمنه وائتمنه، وفى الحديـث : (المجالس بالأمانة)(١)....والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان)(٢).

وفى معجم مقاييس اللغة لابن فارس: مادة (أمن) الهمزة والميم والنون أصـلان متقاربان: أحدهما الأمانة التى هى ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخـر: التصديق....يقال: أمنت الرجل أمنا وأمنة وأمانا والعرب تقول: (رجل أمان إذا كـان أمينا)(٣).

والأصل فى الأمانة: الأمن، والأمن: الطمأنينة....والوديعة أمانة لأن صاحبها ائتمن المودع على حفظها واطمأن إليه، ويقال: رجل أمنة وأمنة يثق بكل أحد، ورجل أمين وأمان، وأنشدوا:

ولقد شهدت التاجر الأمـا ن مـورود أشرابه

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى سننه جـ ٤ صـ ٢٠٧٧ كتاب الأدب باب : فى نقل الحديث .

(٢) لسان العرب جـ١ صـ ١٤١، مختار الصحاح للرازى صـ ٤٨٢، المصباح المنير للفيومى جـ ١ صـ ٣٤، القاموس المحيط جـ ١ صـ ١٠٦ .

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس صـ ١٣٣ - ١٣٥ .

والأمانة فى القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: الفرض، ومنه قوله تعالى- فى سورة الأنفال: ﴿**وتخونوا أماناتكم**﴾(١) أى: تضيعوا فرائضكم، وفى سورة الأحزاب: ﴿**إنا عرضنا الأمانة**﴾(٢) يعنى الفرائض.

والثانى : الوديعة: ومنه قوله تعالى- فى سورة النساء: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾(٣) يعنى الودائع، وقوله- فى سورة المؤمنون: ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾(٤) ومثلها فى سورة المعارج يعنى بالأمانات الودائع.

والثالث: العفة: ومنه قوله تعالى فى سورة القصص: ﴿**إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾(٥) ، يعنى العفيف(٦).

---

(١) الآية (٢٧) .

(٢) الآية (٧٢) .

(٣) الآية (٥٨) .

(٤) الاية (٩) .

(٥) الآية (٢٦) سورة القصص .

(٦) انظر : قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر لابن الجوزى صـ ٣٧، إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للفقيه الدامغانى صـ ٤٦، المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية جـ١ صـ ٥١٣، ٥١٤، المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى صـ ٢١،٢٢، المنجد فى اللغة والإعلام صـ ١٨، المعجم الوسيط صـ ٣٨ ، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى جـ ٢ صـ ١٥٢ .

٢- الأمانة عند المفسرين:

اختلفت عبارات المفسرين وتعددت أقوالهم فى تعريف الأمانة نظراً لاتساع معناها وتعدد جوانبها، وإليك بعض أقوالهم:

- يقول الفخر الرازى: اعلم أن الأمانة عبارة عما إذا وجب لغيرك عليك حق فأديت ذلك الحق إليه، فهذا هو الأمانة "(١).

- ويقول العلامة الألوسى: الأمانة تعم الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية "(٢).

- ويقول الشيخ المراغى: الأمانة الشئ الذى يحفظ ليؤدى إلى صاحبه، ويسمى من يحفظها ويؤديها حفيظا وأمينا ووفيا ومن لا يحفظها ولا يؤديها خائنا"(٣).

- وعرفها فى موضع آخر بتعريف أعم وأشمل حيث قال: والأمانة كل حق مادى أو معنوى يجب عليك أداؤه إلى أهله "(٤).

- وعرفها صاحب تفسير المنار بقوله: الأمانة ما يؤمن عليه الإنسان، من الأمن وهو طمأنينة النفس وعدم الخوف، يقال: أمنه بكذا وائتمن فلانا أى اتخذه أمينا، وكل أمانة يجب حفظها، ومنها ما يحفظ فقط كالسر.....ومنها ما يحفظ ليؤدى إلى صاحبه، ويسمى من يحفظ الأمانة ويؤديها حفيظا وأمينا

(١) التفسير الكبير جـ ١٠ صـ ١٤٥ .
(٢) روح المعانى جـ ٥ صـ٦٣ .
(٣) تفسير المراغى جـ ٥ صـ ٦٩ .
(٤) المصدر السابق جـ ٩ صـ ١٩٢، وانظر : تفسير المنار جـ ٤ صـ ١٧٢ .

ووفيا ويسمى من لا يحفظها أو لا يؤديها خائنا "[1]. ا.هـ باختصار

نخلص مما سبق أن مفهوم الأمانة متعدد الجوانب، فنظرا لتعدد الأمانات وتنوعها نجد أنها ليس لها تعريف محدد عند المفسرين، فالأمانة لا تقتصر على رد الودائع فقط، بل تشملها وتشمل غيرها من كل شئ ائتمن عليه الإنسان، أو كلف به من قبل الشارع الحكيم، وفى هذا المعنى يقول الشيخ محمد الغزالى- رحمه الله-: والأمانة فى نظر الشارع واسعة الدلالة وهى ترمز إلى معان شتى، مناطها جميعا شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه على النحو الذى فصله الحديث الكريم:

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته)[2].

ثم قال: والعوام يقصرون الأمانة فى أضيق معانيها وآخرها ترتيبا، وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها فى دين الله أضخم وأثقل، وإنها الفريضة التى يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها حتى أنه عندما يكون أحدهم على أهبة السفر يقول له أخوه: " أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك "[3].

(١) تفسير المنار للأستاذ محمد رشيد رضا جـ ٤ صـ ١٧٢ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى، انظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٣ صـ ١١٩ كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى : {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم} عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(٣) خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى صـ ٤١ .

المبحث الأول

عناية القرآن الكريم بشأن الأمان

• **مدخل:**

لقد عنى القرآن الكريم بشأن الأمانة عناية فائقة، ولا أدل على ذلك من تلك الآيات المتعددة[1] التى تتحدث عن الأمانة وتعظم أمرها وتأمر بأدائها إلى أهلها، بل وتجعلها من الصفات الواجبة للرسل- عليهم السلام- كالصدق، والتبليغ، والفطانة وغيرها، ومن أهم صفات المؤمنين المفلحين الذين قال الله تعالى فى حقهم: ﴿**أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾[2] وقال: ﴿**أولئك فى جنات مكرمون**﴾[3].

ولم يكتف القرآن الكريم فى تعظيم شأن الأمانة بهذا بل نراه ينهى عن الخيانة، وهى ضد الأمانة- والضد يظهر حسنه الضد- بل ويحذر منها ويجعلها من صفات الكافرين والمنافقين، وهذا إجمال نفصله فى المطالب التالية- إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) انظر : صـ ٤، ٥، ٦ من هذه الرسالة .

(٢) الآيتان (١٠،١١) سورة المؤمنون .

(٣) الآية (٣٥) سورة المعارج .

المطلب الأول

دعوة القرآن الكريم إلى الأمانة وترغيبه فيها

دعا القرآن الكريم إلى الأمانة ورغب فى أدائها والحرص عليها فى أكثر من آية من آياته، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا**﴾(١).

وهذه الآية الكريمة- كما ذكر أكثر المفسرين- نزلت فى شأن عثمان بن طلحة لما أخذ منه رسول الله- ﷺ- مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده إليه.

فقد أخرج ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله- ﷺ- مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال أرنى المفتاح فأتاه به فلما بسط يده إليه قام العباس فقال: يا رسول الله بأبى وأمى اجمعه مع السقاية فكف عثمان يده، فقال رسول الله- ﷺ- هات المفتاح يا عثمان فقال: هاك أمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قرأ: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ حتى فرغ من الآية(٢).

والذى أراه أن هذه الآية وإن كانت نزلت فى شأن مفتاح الكعبة إلاّ أنها عامة فى كل أمانة ائتمن عليها الإنسان، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

---

(١) الآية (٥٨) سورة النساء .

(٢) لباب النقول فى أسباب النزول للإمام السيوطى جـ ١ صـ ١٠٩ بهامش الجلالين - الدر المنثور فى التفسير المأثور جـ ٢ صـ ٥٧٠ .

السبب كما تقرر فى الأصول.

وقد عرض الحافظ ابن كثير- رحمه الله- مجموعة الروايات وقصة ذلك ثم عقب على ذلك فقال: وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت فى ذلك، وسواء كانت نزلت فى ذلك أو لا فحكمها عام، ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن حنفية: هى للبر والفاجر أى هى أمر لكل أحد "(١). ا.هـ

ويقول الفخر الرازى: اعلم أن نزول هذه الآيات عند هذه القصة لا يوجب كونها مخصوصة بهذه القصة بل يدخل فيها جميع أنواع الأمانات، واعلم أن معاملة الإنسان إما أن تكون مع ربه، أو مع سائر العباد، أو مع نفسه ولابد من رعاية الأمانة فى جميع هذه الأقسام(٢).

وممن يرى أن الآية عامة، العلامة الألوسى- رحمه الله- وذلك حيث يقول- عند تفسيره للآية: وأياً ما كان فالخطاب يعم كل أحد- كما أن الأمانات تعم الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية، وعموم الحكم لا ينافى خصوص السبب، وقد روى ما يدل على العموم عن ابن عباس، وأبى، وابن مسعود، والبراء بن عازب، وأبى جعفر، وأبى عبد الله- رضى الله تعالى عنهم أجمعين، وإليه ذهب الأكثرون.

وعن زيد بن أسلم واختاره الجبائى وغيره أن هذا خطاب لولاة الأمر أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة، وعدوا من ذلك

(١) تفسير إبن كثير جـ ١ صـ ٥١٦ .

(٢) التفسير الكبير جـ ١٠ صـ ١٤٣ .

تولية المناصب مستحقيها، وجعلوا الخطاب الآتى لهم أيضا، وفى تصدير الكلام بإن الدالة على التحقيق وإظهار الاسم الجليل وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه، ولهذا ورد فى حديث ثوبان قال: قال رسول الله- ﷺ: " لا إيمان لمن لا أمانة له "(١). ا.هـ

ويقول العلامة القرطبى: والأظهر فى الآية أنها عامة فى جميع الناس فهى تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات فى قسمة الأموال ورد الظلامات والعدل فى الحكومات، وتتناول من دونهم من الناس فى حفظ الودائع والتحرز فى الشهادات وغير ذلك، والصلاة والزكاة وسائر العبادات أمانة الله تعالى "(٢).

وقد أسند- سبحانه- الأمر إليه مع تأكيده اهتماما بالمأمور به وحضا للناس على أداء ما يؤتمنون عليه من علم ومال وودائع وأسرار وغير ذلك مما يقع فى دائرة الائتمان وتنبغى المحافظة عليه، ومعنى أدائها إلى أهلها: توصيلها إلى أصحابها كما هى من غير نجس أو تطفيف أو تحريف أو غير ذلك مما يتنافى مع أدائها بالطريقة التى ترضى الله تعالى "(٣).

والتعقيب على الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل هو التذكير بأنه من وعظ الله- سبحانه- وتوجيهه، ونعم ما يعظ الله به ويوجه: **﴿إن الله نعما يعظكم به﴾**.

(١) روح المعانى جـ ٥ صـ ٦٣، ٦٤، والحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٣ صـ ١٣٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٥ صـ ٢٥٦.
(٣) التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى جـ ٣ صـ ١٨٨ .

ثم يجئ التعقيب الأخير فى الآية، يعلق الأمر بالله ومراقبته وخشيته ورجائه: ﴿**إن الله كان سميعا بصيرا**﴾ والتناسق بين المأمور به من التكاليف، وهو أداء الأمانات والحكم

بالعدل بين الناس، وبين كون الله- سبحانه ﴿**سميعا بصيرا**﴾ مناسبة واضحة ولطيفة معا، فالله يسمع ويبصر قضايا العدل وقضايا الأمانة "(١).

هذا ومن الآيات التى تدعو إلى أداء الأمانة إلى أهلها قوله تعالى: ﴿**وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى ائتمن أمانته وليتق الله ربه..الآية**﴾(٢).

وهذه الآية الكريمة جاءت بعد آية الدين، وفى وجه ارتباطها بها يقول الفخر الرازى- رحمه الله: اعلم أنه تعالى جعل البياعات فى هذه الآية على ثلاثة أقسام: بيع بكتاب وشهود، وبيع برهان مقبوضة، وبيع الأمانة، ولما أمر فى آخر الآية المتقدمة بالكتبة والإشهاد، واعلم أنه ربما تعذر ذلك فى السفر إما بأن لا يوجد الكاتب، أو إن وجد لكنه لا توجد آلات الكتابة، ذكر نوعا آخر من الاستيثاق وهو أخذ الرهن، فهذا وجه النظم، وهذا أبلغ فى الإحتياط والإشهاد"(٣). ا.هـ

والرهان: جمع رهن، ويجمع- أيضا- على رُهُن- بضم الراء وضم الهاء- والرهن- هنا- اسم للشئ المرهون، ومعناه: أن يجعل شئ من متاع المدين بيد

(١) فى ظلال القرآن جـ ٥ صـ ٦٨٩.

(٢) الآية (٢٨٣) سورة البقرة .

(٣) التفسير الكبير جـ ٤ صـ ١٢٩ .

الدائن توثقة له فى دينه "[1].

قال ابن كثير- رحمه الله: وقد استدل بقوله ﴿**فرهان مقبوضة**﴾ على أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض كما هو مذهب الشافعى والجمهور، واستدل بها آخرون على أنه لابد أن يكون الرهن مقبوضا فى يد المرتهن، وهو رواية عن أحمد وذهب إليه طائفة، واستدل آخرون من السلف بهذه الآية على أنه لا يكون الرهن مشروعا إلا فى السفر قال مجاهد وغيره، وقد ثبت فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ توفى ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير رهنها قوتا لأهله "[2]. ا.هـ

ويقول ابن عاشور: والآية دالة على مشروعية الرهن فى السفر بصريحها، وأما مشروعية الرهن فى الحضر فلأن تعليقه هنا على حال السفر ليس تعليقا بمعنى التقييد بل هو تعليق بمعنى الفرض والتقدير، إذا لم يوجد الشاهد فى السفر، فلا مفهوم للشرط لوروده مورد بيان حالة خاصة لا للإحتراز.

وقد أخذ مجاهد والضحاك وداود الظاهرى بظاهر الآية من تقييد الرهن بحال السفر، مع أن السنة أثبتت وقوع الرهن من الرسول ﷺ ومن أصحابه فى الحضر "[3]. ا.هـ

وقوله تعالى: ﴿**فإن أمن بعضكم بعضا**﴾ الآية شرط ربط به وصية الذى عليه الحق بالأداء وترك المطل...وهو أمر معناه الوجوب، بقرينة- الإجماع

(١) التحرير والتنوير جـ ٢ صـ ٨٥٤ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٣١٨ .

(٣) التحرير والتنوير جـ ٢ صـ ٥٨٥ .

على وجوب أداء الديون "[1].

وعبر- سبحانه- بقوله: ﴿**فإن أمن**﴾ دون أودع للإشارة إلى الجانب الذى اعتمد عليه الدائن فى المدين وهو خلق الأمانة، فهو لا يرى فيه إلا جانبا مأمونا لا يتوقع منه شرا أو خيانة، وللتنبيه إلى أن صفة الأمانة والوفاء من الصفات التى يجب أن يتحلى بها المؤمنون جميعا حتى ينالوا السعادة فى دينهم ودنياهم، عبر بقوله: ﴿**فليؤد الذى ائتمن**﴾ ولم يقل فليؤد الدين لحضه على الأداء بأحسن أسلوب، لأنه مادام الدائن قد ائتمنه على ما أعطاه من ديون، فعلى هذا الذى اؤتمن وهو المدين أن يكون عند حسن الظن به وأن يرد إليه حقه فى موعده مع شكره على حسن ظنه به "[2].

وقوله: ﴿**أمانته**﴾ أى: دينه، وإنما سمى أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به.

وقوله: ﴿**وليتق الله ربه**﴾ أى فى رعاية حقوق الأمانة، وفى الجمع بين عنوان الألوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى "[3]. ا.هـ

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قد حث فى أكثر من موضع على هذا الخلق العظيم الذى يستتبع باقى الأخلاق الحميدة، فإن من يتصف بخلق الأمانة جدير بأن يتصف بباقى الأخلاق وأهمها صفة الإيمان بالله، يقول الإمام الغزالى-

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ صـ ٤١٤، ٤١٥ باختصار .

(٢) التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى جـ ١ صـ ٦٥٤ .

(٣) محاسن التأويل للقاسمى جـ ٣ صـ ٣٨٤، روح المعانى للألوسى جـ ٣ صـ ٦٣، تفسير أبى السعود جـ ١ صـ ٢٧٢ .

رحمه الله: والأمانة مشتقة من الإيمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه، قال رسول الله- ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له "(١). ا.هـ

فقد نفى الرسول- ﷺ- فى هذا الحديث صفة الإيمان عمن لا أمانة له، فالإيمان يستلزم وجود صفة الأمانة فهما متلازمان، وبالتالى يفهم أن الخيانة رزيلة كبرى وهى تعنى عدم الإيمان، فلا يجتمع فى قلب مؤمن آمن بالله ورسوله خيانة وإيمان.

قال رسول الله- ﷺ: " لا يجتمع الإيمان والكفر فى قلب امرئ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعا، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعا "(٢).

***

(١) مكاشفة القلوب لأبى حامد الغزالى صـ ٣٧ طبعة دار المنار والحديث سبق تخريجه .

(٢) مسند الإمام أحمد - مسند أبى هريرة - رضى الله عنه جـ ١ صـ ٣٤٩ .

المطلب الثانى

الأمانة من الصفات الواجبة للرسل- عليهم السلام

لقد اختار الله تعالى رسله- عليهم السلام- ليكونوا سفراء بينه وبين عباده، واصطفاهم من بين سائر الخلق ليحملوا الأمانة العظيمة (أمانة الوحى) وتبليغ الرسالة، وقد اقتضت حكمته العليه أن يجعلهم أكمل البشر خلقا، وأفضلهم علما، وأشرفهم نسبا، وأعظمهم أمانة، فالأمانة صفة من صفات الرسل- عليهم السلام- بل من الصفات الواجبة لهم كالصدق والتبليغ والفطانة وغيرها، فهم جميعا مؤتمنون على وحى الله، يبلغون أوامر الله لعباده كما نزلت عليهم دون زيادة أو نقص، ودون تحريف أو تبديل، امتثالا لقول الله عزوجل: ﴿**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا**﴾(١).

وقد عرف علماء أهل الكلام الأمانة بأنها: حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه "(٢).

وعلى هذا فإن الأمانة تلتقى مع العصمة فى المعنى، إذ العصمة فى الشرع- كما عرفها الشهاب الخفاجى- لطف من الله تعالى يحمل النبى على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للإبتلاء "(٣).

• وقد وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة فى وصف الرسل- عليهم السلام- بالأمانة، وفيما يلى نماذج منها:

---

(١) الآية (٣٩) سورة الأحزاب .

(٢) شرح البيجورى على الجوهرة صـ١٤٨، الشركة المصرية للطباعة .

(٣) عصمة الأنبياء للدكتور محمد أبو النور الحديدى صـ٦٣ مطبعة الأمانة .

النموذج الأول: أمانة نوح- عليه السلام:

قال تعالى: ﴿**كذبت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * إنى لكم رسول أمين**﴾(١).

هذه الآيات الكريمة تتحدث عن قصة نوح- عليه السلام، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد ما عبدت الأصنام والأنداد، وقد أمر قومه بعبادة الله وحذرهم من عقابه، ولكنهم كذبوه واستمروا على كفرهم، فأراد نوح- عليه السلام- أن يبرهن لهم عن صدقه فى دعوته وأنه مرسل من عند الله فقال لهم: ﴿**إنى لكم رسول أمين**﴾ أى: إنى رسول من الله إليكم، أمين فيما بعثنى الله به أبلغكم رسالات ربى دون زيادة أو نقص.

يقول الإمام القرطبى- عند تفسيره لهذه الآيات: كذبت جماعة قوم نوح المرسلين، لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وقيل: كذبوا نوحا فى النبوة وفيما أخبرهم به من مجئ الرسل بعده ﴿**إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون * إنى لكم رسول أمين**﴾ أى: صادق فيما أبلغكم عن الله تعالى، وقيل: أمين بينكم فإنهم كانوا عرفوا أمانته من قبل كمحمد- ﷺ- فى قريش "(٢). ا.هـ

ويقول ابن عاشور: وكان نوح موسوما بالأمانة لا يتهم فى قومه كما كان محمد يلقب بالأمين فى قريش، وتأكيده بحرف التأكيد مع عدم سبق إنكارهم أمانته لأنه توقع حدوث الإنكار، فاستدل عليهم بتجربة أمانته قبل تبليغ

(١) الآيات (١٠٥ : ١٠٧) سورة الشعراء .

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٧ صـ ٤٨٣٥ .

الرسالة، فإن الأمانة دليل على صدقه فيما بلغهم من رسالة الله تعالى "[1]. ا.هـ

النموذج الثانى: أمانة هود- عليه السلام:

جاء فى شأن أمانة سيدنا هود- عليه السلام- قوله تعالى: ﴿**وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون * قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين * قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين**﴾[2].

فهذه الآيات الكريمة تتحدث عن قصة هود- عليه السلام- مع قومه، وكان قومه يسكنون الأحقاف، وهى جبال الرمل قريبا من حضرموت من جهة اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال لهم: ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة**﴾[3] ، وذلك أنهم كانوا فى غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والطول المديد والأرزاق الدارة والأموال والجنات والأنهار والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله هودا إليهم رجلا منهم رسولا وبشيرا ونذيرا، فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نقمته وعذابه فى مخالفته[4] ، وأقام الدليل لهم على صدقه فى دعوته بأنه رسول من عند الله، ومادام أنه مرسل من عند الله فهو أمين على

(١) التحرير والتنوير جـ١٩ صـ١٥٨ .

(٢) الآيات (٦٥ : ٦٨) سورة الأعراف .

(٣) الآية (٦٩) سورة الأعراف .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٣٣٠ .

رسالته.

فمعنى قوله: ﴿**أبلغكم رسالات ربى**﴾ بالأمر والنهى ﴿**وأنا لكم ناصح**﴾ أحذركم من عذاب الله وأدعوكم إلى التوبة والإيمان ﴿**أمين**﴾ على رسالة ربى، ويقال: قد كنت أمينـًا فيكم قبل هذا فكيف تتهمونى اليوم؟ "(١).

أى: عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقى أن أتهم وأنا لكم ناصح فيما أدعوكم

إليه، أمين علي ما أقول لكم لا أكذب فيه "(٢).

يقول الفخر الرازى- رحمه الله:

وقد اقتصر- عليه السلام- على أن وصف نفسه بكونه أمينـًا، والمقصود منه أمور:

أحدها : الرد عليهم فى قولهم: ﴿**وإنا لنظنك من الكاذبين**﴾.

وثانيها : أن مدار أمر الرسالة والتبليغ عن الله أمانة، فوصف نفسه بكونه أمينا تقريرا للرسالة والنبوة.

وثالثها : كأنه قال لهم: كنت قبل هذه الدعوة أمينا فيكم ما وجدتم منى غدرا ولا مكرا ولا كذبا، واعترفتم بى بكونى أمينا، فكيف نسبتمونى الآن إلى الكذب؟ "(٣). ا.هـ

وجاء فى تفسير العلامة أبى السعود: وإنما جئ بالجملة الإسمية ﴿**وأنا**

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادى صـ ١٣٠.

(٢) الكشاف للزمخشرى جـ ٢ صـ ٦٩، التفسير المنير جـ ٨ صـ ٢٥٩ .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ١٤ صـ ١٦٣ .

لكم ناصح أمين﴾ دلالة على الثبات والاستمرار وإيذانا بأن من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب "[1]. ا.هـ

هذا وفى إجابة سيدنا هود- عليه السلام- على قومه بتلك الإجابة الصادرة عن الحكمة والإغضاء عما قالوا من وصفهم إياه بالسفاهة والكذب- أدب حسن وخلق عظيم وتعليم لعباده كيف يقابلون السفهاء، وكيف يغضون عن قالة السوء التى تصدر عنهم.

فهذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الإنسان على نفى ما أضيف إليه عن النفس "[2].

وقد تكرر وصف سيدنا هود- عليه السلام- بالأمانة مرة أخرى وذلك فى سياق قصص الأنبياء- عليهم السلام- فى سورة الشعراء، واقرأ فى ذلك قوله تعالى: ﴿**كذبت عاد المرسلين * إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون * إنى لكم رسول أمين**﴾[3].

وجاءت هذه المقالة- أيضا- على لسان سيدنا صالح[4]، ولوط[5]، وشعيب[6]- عليهم السلام، الأمر الذى يدل على أن الأمانة سمة بارزة فى حياة

---

(١) تفسير أبى السعود جـ ٣ صـ ٢٣٨ .

(٢) انظر : تفسير المراغى جـ ٨ صـ ١٩٤، مجمع البيان للطبرسى جـ ٤ صـ ٢٢٣ .

(٣) الآيات (١٢٣ : ١٢٥) .

(٤) اقرأ الآيات (١٤١ : ١٤٣) سورة الشعراء .

(٥) اقرأ الآيات (١٦٠ : ١٦٢) سورة الشعراء .

(٦) اقرأ الايات (١٧٦ : ١٧٨) سورة الشعراء .

الرسل- عليهم السلام.

وذلك حتى يكونوا فى موضع الثقة والاطمئنان فيما يبلغون عن الله تعالى، كما يدل على أن بعثة الأنبياء أصلها الدعوة إلى توحيد الله عزوجل وتخليص أقوامهم من دنس الشرك، وأنهم جميعا مجمعون على ذلك وإن اختلفوا فى تفصيل الأحكام، وصدق الله حين قال: ﴿**رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما**﴾(١).

النموذج الثالث: أمانة يوسف- عليه السلام:

وقد وردت فى قوله تعالى: ﴿**وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم**﴾(٢).

هذا النص القرآنى يوضح لنا أمانة يوسف- عليه السلام، وكيف كانت سببا فى توليته لمنصب الحكم، فقد وصف الملك سيدنا يوسف- عليه السلام- بالأمانة بعد أن استيقن ببراءته لما سأل النسوة وامرأة العزيز فقلن: ﴿**حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا روادته عن نفسه وإنه لمن الصادقين**﴾(٣).

فبعد أن تحقق الملك الأكبر من أمر النسوة بناء على طلب يوسف- عليه السلام- وظهرت له براءته وعفته، طلب إحضاره إليه من السجن ليصطفيه

(١) الآية (١٦٥) سورة النساء .

(٢) الآيتان (٥٤، ٥٥) سورة يوسف .

(٣) الآية (٥١) سورة يوسف .

لنفسه، فلما سمع منه تعبير رؤياه أعجب به وبعلمه وحسن أدبه، وأعزه وأنزله لديه مكانة عالية، وأمنه على نفسه، وائتمنه على كل شئ، وسلمه مقاليد الحكم والسلطة، وفوض إليه تصريف وإدارة الأمور السياسية والمالية فى جميع أنحاء مصر "(١).

يقول العلامة القاسمى- رحمه الله: ﴿**وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى**﴾ أى: أخصه بها دون العزيز على عادة الملوك من الاستئثار بالنفيس العزيز، وقال ذلك لما تحقق من براءته مما نسب إليه، وكرم نفسه وسعة علمه، ﴿**فلما كلمه**﴾ أى: أتوا به وكلمه وشاهد فضله وحكمته وبراعته ﴿**قال إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾ أى: ذو مكانة ومنزلة ﴿**أمين**﴾ أى: مؤتمن على كل شئ، قال يوسف: ﴿**اجعلنى على خزائن الأرض**﴾ أى: ولنى خزائن أرضك، يعنى: جميع الغلات لما يستقبلونه من السنين التى أخبرهم بشأنها فيتصرف لهم على الوجه الأرشد والأصلح، ثم يبين اقتداره فى ذلك فقال: ﴿**إنى حفيظ عليم**﴾ أى: أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف فيه "(٢). ا.هـ

هذا وإنما طلب يوسف- عليه السلام- ولاية الخزائن من أجل إقامة الحق والعدل لا لحب الدنيا، وفى هذا المعنى يقول العلامة الزمخشرى: وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه، وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن

(١) التفسير المنير جـ ١٣ صـ ٨ .

(٢) محاسن التأويل جـ ٩ صـ ٣٥٥٧ .

مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا "[1]. ا.هـ

وقد استنبط العلماء من طلب يوسف ولاية الخزائن جواز أن يطلب الإنسان عملا يكون له أهلا، ولئن قيل إن ذلك يعارضه ما جاء عن رسول الله- ﷺ- فى الأحاديث الصحيحة من نهيه عن طلب الإمارة فالجواب:

أولا : أن يوسف- عليه السلام- إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه فى العدل والإصلاح وتوصيل الحقوق إلى الفقراء، فرأى أن ذلك فرض متعين عليه، فإنه لم يكن هناك غيره.

الثانى : أنه لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لأنى حسيب كريم وإن كان كذلك، ولم يقل إنى مليح جميل، وإنما قال: ﴿**إنى حفيظ عليم**﴾ فسألها بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال.

الثالث : إنما قال ذلك عند من لا يعرفه، فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم**﴾[2].

وهكذا نجد أن يوسف- عليه السلام- نال المكانة العالية والمنزلة الرفيعة بعلمه وخلقه وحسن تصرفه فى الأمور، قال القاسمى: قال بعضهم: إن من أمعن النظر فى قصة يوسف- عليه السلام- علم يقينا أن التقى الأمين لا يضيع الله سعيه، بل يحسن عاقبته، ويعلى منزلته فى الدنيا والآخرة، وأن المعتصم بالصبر لا يخشى حدثان الدهر وتجاربه ولا يخاف صروفه ونوائبه، فإن الله

(١) تفسير الكشاف جـ ٢ صـ ٣٦٢ .

(٢) الآية (٣٢) سورة النجم، وانظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٦ صـ ٣١٦ .

يعضده وينجح مسعاه، ويخلد ذكره العاطر على مر الأدهار "[1]. ا.هـ

النموذج الرابع: أمانة موسى- عليه السلام:

وقد جاءت على لسان ابنة شيخ مدين، وذلك فى قوله تعالى- فى سورة القصص: ﴿**فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين * قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾[2].

وذلك أنه لما خرج موسى- عليه السلام- من مصر خائفا من فرعون وقومه، وانتهى به السير إلى أرض مدين وجد جماعة من الناس يسقون أغنامهم، ووجد امرأتين لا يسقيان غنمهما، فسقى لهما بعد ما سألهما عن شأنهما، فلما رجعت المرأتان سريعا بالغنم إلى أبيهما أنكر حالهما بسبب مجيئهما سريعا، فسألهما عن خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى- عليه السلام- فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها.

وقوله تعالى: ﴿**فجاءته إحداهما تمشى على استحياء**﴾ أى مشى الحرائر، كما روى عن أمير المؤمنين عمر- رضى الله عنه- أنه قال: جاءت مستترة بكم درعها أى قميصها "[3].

---

(١) محاسن التأويل جـ ٩ صـ ٣٥٥٨ .

(٢) الآيتان (٢٥، ٢٦) .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٣٧١، التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى جـ ١٠ صـ ٣٩٧ .

وقوله: ﴿**قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا**﴾ يعنى ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا ﴿**فلما جاءه وقص عليه القصص**﴾ أى ذكر له ما كان من أمره وما جرى له من السبب الذى خرج من أجله من بلده ﴿**قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين**﴾.

• **وقد اختلف المفسرون فى هذا الرجل من هو؟ على أقوال:**

أحدها: أنه شعيب النبى- عليه السلام- الذى أرسل إلى أهل مدين وهذا هو المشهور

عند كثير من العلماء، وقد قاله الحسن البصرى وغير واحد.

وقال آخرون: بل كان ابن أخى شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب.

وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى- عليه السلام- بمدة طويلة لأنه قال لقومه: ﴿**وما قوم لوط منكم ببعيد**﴾[1] وقد كان هلاك قوم لوط فى زمن الخليل- عليه السلام- بنص القرآن.

يقول الحافظ ابن كثير- بعد ذكره لهذه الأقوال: من المقوى لكونه ليس بشعيب أنه لوكان إياه لأوشك أن ينص على اسمه فى القرآن ههنا، وما جاء فى بعض الأحاديث من التصريح بذكره فى قصة موسى لم يصح إسناده "[2]. ا.هـ

وقوله تعالى: ﴿**قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾ يعنى: خير من استعملت من قوى على العمل وأداء الأمانة،

(١) الآية (٨٩) سورة هود .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٣٧١، التفسير الوسيط جـ ١٠ صـ ٣٩٧ .

روى عن عمر وابن عباس وشريح القاضى وغير واحد أنها لما قالت ذلك قال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: فإنه رفع حجرا من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة، وقيل: أربعون رجلا، وأما أمانته فإنه قال لى: امشى خلفى حتى لا تصف الرياح بدنك "[1]. ا.هـ

يقول العلامة الزمخشرى- عند تفسيره للآية: وقولها: ﴿**إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾ كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أى الكفاية والأمانة فى القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك، وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذى سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول: استأجره لقوته وأمانته "[2]. ا.هـ

وقد علق ابن المنير على كلام الزمخشرى فقال: وما أحسن ما أخذ الفاروق- رضى الله عنه- هذا المعنى: أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوى، ففى مضمون هذه الشكاية سؤال الله أن يتحفه بمن جمع الوصفين فكان قويا أمينا يستعين به على ما كان بصدده "[3]. ا.هـ

قلت: وما فعلته هذه المرأة يعد من الفراسة كما قال سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس فى عمر، وصاحب يوسف حين قال: ﴿**أكرمى مثواه**﴾، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿**يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى**

(١) معالم التنزيل للبغوى جـ ٣ صـ ٣٨٠، تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٣٧٢ .

(٢) الكشاف للزمخشرى جـ ٣ صـ ١٧٣ .

(٣) الكشاف للزمخشرى جـ ٣ صـ ١٧٣، تفسير القاسمى جـ ١٣ صـ ٤٧٠٢، ٤٧٠٣ .

الأمين﴾(١).

وهكذا نجد فى قصة سيدنا موسى- عليه السلام- ما يدل على اتصافه بالعفة والأمانة قبل بعثته وإرساله إلى فرعون، يقول الشيخ محمد الغزالى: وكذلك شوهدت مخايل الأمانة على موسى حين سقى لابنتى الرجل الصالح ورفق بهما، واحترم أنوثتهما، وكان معهما عفيفا شريفا.

وقد حدث هذا قبل أن ينبأ موسى ويرسل إلى فرعون، ولا غرو فرسل الله يختارون من أشرف الناس طباعا وأزكاهم معادن، والنفس التى تظل معتصمة بالفضيلة- على شدة الفقر ووحشة الغربة- هى لرجل قوى وأمين، والمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد، تتطلب خلقا لا يتغير باختلاف الأيام بين نعمى وبؤسى، وذلك جوهر الأمانة(٢).

النموذج الخامس: أمانة خاتم المرسلين سيدنا محمد- عليه الصلاة والسلام:

اتصف الرسول- ﷺ- كسائر الرسل بالأمانة، واشتهر بذلك بين قومه حتى لقبوه بالأمين.

جاء فى السيرة: كان محمد أحسن قومه خلقا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال حتى سماه قومه: الأمين، بما جمع الله فيه من الصفات الحميدة "(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٣٧٢ .

(٢) خلق المسلم صـ ٤٢ .

(٣) مع الأنبياء فى القرآن الكريم للأستاذ عفيفى عبد الفتاح طباره صـ ٣٤٠ .

وكتب السيرة عامرة بالأحداث والوقائع التى تشهد لأمانته- ﷺ- ومن ذلك:

١- تحكيمه عند بناء الكعبة:

لما أعادت قريش بناء الكعبة، وتم البناء إلى الحد الذى أرادوا فيه وضع الحجر الأسود فى موضعه اختلف أشرافهم فيمن يضعه، وتنافسوا فى ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب، فقال أبو أمية بن المغيرة المخزومى- وكان عامئذ أسن رجل فى قريش: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم، ففعلوا فكان أول من دخل عليهم رسول الله- ﷺ- فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه قال- ﷺ- هلم على ثوبا فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه، وكانت قريش تسمى رسول الله قبل أن ينزل عليه الوحى الصادق الأمين "[1].

٢- أمانته فى رد الودائع:

فقد كانت قريش تحفظ عنده ودائعها قبل بعثته وبعدها، واستمروا على ذلك رغم عداوتهم له على وقت هجرته.

يقول ابن اسحاق: ولم يعلم فيما بلغنى بخروج النبى- ﷺ- إلا على بن أبى طالب، وأبو بكر وآل أبى بكر، أما على فإن رسول الله أمره أن يتخلف حتى

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ صـ ١٧١، ١٧٢، السيرة النبوية للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة جـ ١ صـ ٢٢٨، ٢٢٩، مع الأنبياء فى القرآن الكريم صـ ٣٤١، ٣٤٢ .

يؤدى الودائع التى كانت عنده للناس، وكان رسول الله وليس بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته "[1]. ا.هـ

ويقول الدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى: وفى تخلف على- رضى الله عنه- عن النبى- ﷺ- فى أداء الودائع التى كانت عنده إلى أصحابها دلالة باهرة على التناقض العجيب الذى كان المشركون واقعين فيه، ففى الوقت الذى كانوا يكذبونه ويرونه ساحرا أو مخادعا لم يكونوا يجدون من حولهم من هو خير منه أمانة وصدقا، فكانوا لا يضعون حوائجهم وأموالهم التى يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك فى صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذى جاء به وخوفا على زعامتهم وطغيانهم "[2]. ا.هـ

٣- أمانته فى التبليغ:

ومن أعظم الدلائل على أمانته- ﷺ- فى التبليغ: إظهاره عتاب الله له فى القرآن الكريم، وعدم تحرجه من ذلك، لأنه لوكان كاتما شيئا من الوحى لكتم ما أنزل فى شأنه من معاتبة ربه عزوجل، ولكنه لم يكتمه فدل ذلك على عصمته وأمانته فى تبليغ وحى الله، ومن المواضع التى عاتبه فيها ربه:- قوله تعالى- فى سورة الأحزاب: ﴿**وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن**

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ صـ ١٧٦، السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبة جـ ١ صـ ٤٩٧ .

(٢) فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى صـ ١٤٦ .

تخشاه﴾(١) الآية.

فهذه الآية الكريمة مما عاتب الله فيها رسوله ﷺ، وذلك لإخفائه ما أعلمه الله به من أن زينب بنت جحش ستصير زوجة له، والتى كانت زوجة لمولاه زيد ابن حارثة.

أخرج البخارى فى صحيحه عن أنس- رضى الله عنه- أن هذه الآية **﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾** نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة "(٢).

وعنه- أيضا- قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبى- ﷺ- يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك "(٣).

قال الحافظ ابن حجر: والحاصل أن الذى كان يخفيه النبى- ﷺ- هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذى كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى بأمر لا أبلغ فى الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم "(٤).

وقال ابن العربى: إنما قال- عليه الصلاة والسلام- لزيد **﴿أمسك عليك**

---

(١) الاية (٣٧) .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٨ صـ ٣٨٣ كتاب التفسير، باب : وتخفى فى نفسك ما الله مبديه .

(٣) المرجع السابق والصفحة .

(٤) المرجع السابق صـ ٣٨٤ .

زوجك﴾ اختبارا لما عنده من الرغبة فيها أو عنها، فلما أطلعه زيد على ما عنده من النفرة التى نشأت من تعاظمها عليه وبذاءة لسانها أذن له فى طلاقها "(١).

قالت السيدة عائشة- رضى الله عنها-: لو كان رسول الله- ﷺ- كاتما شيئا من الوحى لكتم هذه الآية: **﴿وإذ تقول للذى أنعم الله عليه﴾** يعنى بالإسلام **﴿وأنعمت عليه﴾** بالعتق **﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾** الآية"(٢).

شبهات حول أمانة الرسل- عليهم السلام- فى التبليغ

يحاول أعداء الحق فى كل زمان إثارة الشبه والشكوك حول حملة الوحى من الرسل- عليهم السلام، وذلك حتى يصرفوا الناس عنهم وعن الإيمان بهم، ولكن الله تعالى يأبى إلا أن يتم نوره، فقد قيض للحق أنصارا يدافعون عنه ويفندون ما يثيره أعداء الحق من شبه وأباطيل، ومن تلك الشبه ما يلى:

الشبهة الأولى:

يزعم هؤلاء المشككون أن الرسول- ﷺ- زاد فى القرآن من عند نفسه كلاما يمدح به الأصنام إرضاءا للمشركين، وقد استندوا فى ذلك إلى " قصة الغرانيق " التى رواها ابن أبى حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله- ﷺ- بمكة النجم، فلما بلغ هذا الموضع **﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى﴾**(٣) قال: فألقى الشيطان على لسانه: " تلك الغرانيق

(١) المرجع السابق والصفحة .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٤٧٢ .

(٣) الآيتان (١٩، ٢٠) سورة النجم .

العلى وإن شفاعتهن ترتجى " قالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فأنزل الله: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى لقى الشيطان فى أمنيته فينسخ اللَّه ما يلقى الشيطان ثم يحكم اللَّه آياته واللَّه عليم حكيم**﴾(١).

• **رد الشبهة:**

يمكن الرد على هذه الشبهة بأحد جوابين:

أحدهما: أن هذه الرواية ضعيفة لأنها مرسلة، والمرسل من أقسام الضعيف، وأيضا لم ترد فى كتب الصحاح.

يقول الحافظ ابن كثير- عند تفسير هذه الآية: قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق وماكان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم "(٢).

وقد ذكر الفخر الرازى- رحمه الله- فى سبب نزول الآية نحوا من رواية ابن أبى حاتم ثم قال: هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول:

أما القرآن فقوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى**﴾(٣) فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرانيق العلى، لكان قد ظهر

(١) الآية (٥٢) سورة الحج، وانظر : تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٢٢٢ .

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) الآيتان (٣،٤) سورة النجم .

كذب الله تعالى فى الحال، وذلك لا يقوله مسلم.

وأما السنة: فهى ما روى عن محمد بن اسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة وصنف فيه كتابا.

وقال الإمام أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيه.

وأما المعقول: فلو أنا جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك، ويبطل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[1] فإنه لا فرق فى العقل بين النقصان على الوحى وبين الزيادة فيه "[2]. ا.هـ باختصار

الجواب الثانى:

على تقدير صحة هذه الرواية فإن ذلك- كما يقول الحافظ ابن حجر- لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه- ﷺ- أن يزيد فى القرآن عمدا ما ليس منه، وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته"[3]. ا.هـ

وقد ساق البغوى فى تفسيره مجموعة الروايات فى ذلك ثم سأل ههنا

---

(١) الآية (٦٧) سورة المائدة .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٢٣ صـ ٤٨، السيرة النبوية للشيخ محمد متولى الشعراوى صـ ١٥١، ، ١٥٤، السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة جـ ١ صـ ٣٦٥ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ صـ ٢٩٢ .

سؤالا: كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله- ﷺ- ؟ ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها أن الشيطان أوقع- فى مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن- رسول الله- ﷺ- وليس كذلك فى نفس الأمر بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمن- ﷺ "(١) والله أعلم.

الشبهة الثانية:

ومن مزاعم هؤلاء المشككين- أيضا- أن الرسول- ﷺ- سحر وتأثر بالسحر، قالوا: إنه كان يخيل إليه أنه يوحى إليه وهو لم يوح إليه، واحتجوا على ذلك بما جاء فى الصحيح أن النبى- ﷺ- سحر حتى أنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ ولا يفعله، وقالوا: إنه مادام يخيل إليه أنه يفعل الشئ ولا يفعله، فقد يخيل إليه أنه يري جبريل أو يسمع منه وهو لم يره ولم يسمع منه، والحديث الذى استندوا إليه أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده عن عائشة- رضى الله عنها- قالت: سحر رسول الله- ﷺ- رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما فعله..الحديث"(٢).

• الرد على الشبهة:

هذه الشبهة باطلة ومردودة وذلك لأن ما زعمه هؤلاء قد قام الدليل على خلافه، قال المازرى: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث- يعنى حديث عائشة- وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٢٢٣ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ صـ ٢٣٢ كتاب الطب، باب : السحر، حديث رقم (٥٧٦٣).

باطل، وزعموا أن تجويز ذلك يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو، ثم وأنه يوحى إليه بشئ ولم يوح إليه بشئ.

قال المازرى: وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبى- ﷺ- فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته فى التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التيلم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو فى ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه فى أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك فى أمور الدنيا "[1]. ا.هـ

وقال القاضى عياض: إن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على تمييزه وقلبه ومعتقده، وكل ما جاء فى الروايات من أنه يخيل إليه فعل شئ لم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس فى ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة، ولا طعنا لأهل الضلالة "[2]. ا.هـ

وقال المهلب: ما ناله من ضرر السحر لا يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، واستدل ابن القصار على أن الذى أصابه كان

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ صـ ٢٣٧ .

(٢) المرجع السابق والصفحة، فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور موسى شاهين لاشين جـ ٨ صـ ٥٥٨، عصمة الأنبياء للدكتور محمد أبو النور الحديدى صـ ١٠١ .

من جنس المرض بقوله فى آخر الحديث: " أما أنا فقد عافانى الله " وفى رواية: " فقد شفانى الله "(١). ا.هـ

الشبهة الثالثة:

قولهم: إن الرسول- ﷺ- أخفى ما أمر بابدائه من زواجه بزينب بنت جحش- رضى الله عنها- والتى كانت زوجة لمولاه زيد بن حارثة، وخشى من الناس فى إبداء ذلك، وقد استندوا إلى قوله تعالى: ﴿**وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾(٢) الآية.

• الرد على الشبهة:

هذه الشبهة مردودة وذلك لأن ما حدث من الرسول- ﷺ- هو إخفاء شئ أعلمه الله به خشية قول الناس إنه تزوج امرأة ابنه، ولم يكن إخفاء لأمر يجب إبلاغه، وقد ذكرت فيما سبق أن الله أراد إبطال ماكان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى: ﴿**لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا**﴾(٣).

وحاصل الجواب: أن الرسول- ﷺ- لم يؤمر بإبلاغ خبر زواجه، ولذا فقد كان مباحا له إبداؤه أو إخفاؤه، ولم يكن فيه- كما يقول ابن حزم- معصية أصلا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به، وإنما كان أراد زواج مباح له فعله

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ صـ ٢٣٨، فتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ٨ صـ ٥٥٨ .

(٢) الآية (٣٧) سورة الأحزاب .

(٣) المرجع السابق .

ومباح له تركه، ومباح له طيه ومباح له إظهاره، وإنما خشى النبى- ﷺ- الناس فى ذلك خوف أن يقولوا قولا ويظنوا ظنا فيهلكوا "[1]. ا.هـ

***

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى جـ ٤ صـ ١٨، ١٩ .

المطلب الثالث

الأمانة من أهم صفات المؤمنين

بين القرآن الكريم أن الأمانة صفة من صفات المؤمنين، وركيزة أساسية فى بناء الشخصية المؤمنة، فإن المؤمن مادام قد اختار طريق الحق فآمن بالله تعالى وعرف سر الوجود، فلا بد أن يتحرى الأمانة فى كل شئ، وأن يتخذها منهاجا فى حياته، لأنه يعلم أن الخيانة تناقض الإيمان، وأنها خطر يهدد العقيدة ويفسد العمل.

ومن هنا فإن المؤمن الحق لا يتصف بالخيانة ولا يرضى بها طريقا، فعن أبى أمامة الباهلى- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله- ﷺ-: يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب "[1] وحتى يعظم الله- تعالى- من شأن الأمانة فى نفوس المؤمنين ويحفزهم على القيام بحقها، ويدفعهم إلى العمل من أجل أدائها على خير ما يكون الأداء، بين- سبحانه- فى سورتى المؤمنين والمعارج- أن أداء تلك الأمانة من صفات المؤمنين به، العابدين له، الفائزين بالفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾[2].

راعون: أى قائمون بحفظها وإصلاحها، من الرعى وهو الحفظ والحراسة وأصله رعى الغنم والإبل، الراعى: الذى يحفظ الشئ ويصلحه "[3].

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٥ صـ ٢٥٢، البيهقى فى شعب الإيمان جـ ٤ صـ ٣٢٤ .
(٢) الآية (٨) سورة المؤمنون، الآية (٣٢) سورة المعارج .
(٣) التحرير والتنوير جـ ٢٩ صـ ١٧، التفسير المنير جـ ١٨ صـ ١٠ .

فالمعنى: والذين يحفظون حرمة الأمانة وقدسية العهد، فإذا ائتمنوا لم يخونوا، بل يؤدوا الأمانة إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، فأداء الأمانة والوفاء بالعهد صفة أهل الإيمان، أما الخيانة والغدر وخلف الوعد وعدم الوفاء بمقتضى العقد بيعا أو إجارة أو شركة أو غيرها، فهى صفة أهل النفاق الذين قال فيهم رسول الله- ﷺ: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان "(١).

وفى الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله- ﷺ: أربع من كن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر "(٢).

فالأمانة من أهم صفات المؤمنين، والخيانة والغدر من صفات المنافقين، ثم إن الآية عامة فى كل أمانة كما يقول القاسمى: والآية تحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من حهة الله تعالى ومن جهة الخلق، والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم، ولذا عدت الخيانة فى الأمانة من آيات النفاق فى الحديث المشهور "(٣). ا.هـ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، انظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ صـ ١١١ كتاب الإيمان، باب : علامة النفاق، مسلم بشرح النووى جـ ٢ صـ ٤٦ كتاب الإيمان، باب : خصال المنافق.

(٢) أخرجه البخارى، انظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ صـ ١١١ كتاب الإيمان .

(٣) محاسن التأويل جـ ٢ صـ ٤٣٩ .

ويقول القرطبى- رحمه الله: والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولا وفعلا، وهو يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به، والأمانة أعم من العهد، وكل عهد فهو أمانة، فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد "(١). ا.هـ

وقد جمع الأمانات " باعتبار تعدد أنواعها، وتعدد القائمين بالحفظ تنصيصا على العموم، والجمع بين الأمانات ورعى العهد، لأن العهد كالأمانة، لأن الذى عاهدك قد ائتمنك على الوفاء بما يقتضيه ذلك العهد "(٢).

يقول الشهيد سيد قطب: والأمانات كثيرة فى عنق الفرد وفى عنق الجماعة، وفى أولها أمانة الفطرة، وقد فطرها الله مستقيمة مع ناموس الوجود والذى هى فيه وإليه شاهدة بوجود الخالق ووحدانيته...والجماعة المسلمة مسؤلة عن أماناتها العامة، مسؤلة عن عهدها مع الله تعالى، وما يترتب على هذا العهد من تبعات، والنص يجمل التعبير ويدعه يشمل كل أمانة وكل عهد، ويصف المؤمنين بأنهم لأماناتهم وعهدهم راعون، فهى صفة دائمة لهم فى كل حين، وما تستقيم حياة الجماعة إلا أن تؤدى فيها الأمانات، وترعى فيها العهود، ويطمئن كل من فيها إلى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة الضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان"(٣). ا.هـ

فكلما كان المؤمن أمينا على حقوق الله تعالى وحقوق الناس زاد إيمانه

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٧ صـ٤٤٩٩ .

(٢) التحرير والتنوير المجلد التاسع صـ١٤، ١٥ .

(٣) فى ظلال القرآن، المجلد الرابع جـ١٨ صـ٢٤٥٦ .

وكمل وأصبح كامل الإيمان، أما إذا قصر وأهمل وخان فإنه يكون ناقص الإيمان، بل قد يكون منافقا، لأن الخيانة - كما سبق فى الأحاديث- علامة من علامات النفاق.

العلاقة بين الأمانة والإيمان:

ومن هنا تتضح العلاقة الوثيقة بين الأمانة والإيمان فالأمانة شعبة عظيمة من شعب الإيمان، بل هى أعظم شعب الإيمان، لأن النبى- ﷺ- قد نفى الإيمان عمن ليس بأمين، فعن ثوبان قال: قال رسول الله- ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له "(١).

وقد بين- ﷺ- أن الأمانة هى أول ما يرفع من القلوب، فعن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله- ﷺ: إن أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، ورب مصل لا خير فيه "(٢).

وعن أبى هريرة- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله- ﷺ: إن أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة، فسلو هما الله عزوجل "(٣).

وبين الرسول- ﷺ- أن الأمانة حين ترفع من القلوب فذلك دليل على

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان جـ٤ صـ٣٢٠، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ونسبه إليه بلفظه.

(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب جـ ٤ صـ ٣٢٥، وذكره السيوطى فى الدر المنثور جـ ٥ صـ ٥٧٢ ونسبه إليه بلفظه .

(٣) أخرجه البيهقى فى الشعب جـ ٤ صـ ٣٢٦، وذكره - أيضًا - السيوطى فى الدر المنثور جـ ٥ صـ ٥٧٢ ونسبه إليه بنفسه.

ضعف الإيمان، وحينئذ يقل الأمناء وتنعدم الثقة بين الناس، فعن حذيفة- رضى الله عنه- قال: حدثنا رسول الله- ﷺ- حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت(١)، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل أثر المجل(٢)كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شئ، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة، فيقال: إن فى بنى فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى على زمان ولا أبالى أيكم بايعت لئن كان مسلما رده على الإسلام، وإن كان نصرانيا رده على ساعيه، وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا "(٣).

فقول الرسول- صالى الله عليه وسلم: إن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال " يشعر بأنها خلق من الأخلاق الفطرية فى الإنسان، فهى فى جذر قلوب الرجال، ولا تكون بهذا العمق فى كيان الإنسان مالم تكن ذات جذور فطرية.

ويؤيد هذا قوله- ﷺ- بعد ذلك: " ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن،

---

(١) الوكت : أثر الشئ اليسير منه، وقيل : سواء فى اللون .

(٢) المجل : بفتح الميم وسكون الجيم - أثر العمل فى اليد .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٣ صـ ٤٢ كتاب الفتن، باب : إذا بقى فى حثالة من الناس، مسلم بشرح النووى جـ ٢ صـ ١٦٨ كتاب الإيمان، باب : رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب.

وعلموا من السنة " ففى هذا دلالة على أن إرشاد كل من القرآن والسنة إلى الأمانة، قد جاء بعد تغلغل الأمانة فى جذر قلوب الرجال، ولا يكون هذا السبق إلا سبقا فطريا"(١).

أما حديثه- ﷺ- عن رفع الأمانة، فقد دل على ارتباط الأمانة بالإيمان، ورفع الأمانة من القلوب إنما يكون بسبب ضعف الإيمان، إذ أن الأعمال السيئة لا تزال تضعف الإيمان بحيث ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، ولا يبقى إلا الأثر اليسير منها، وبحيث لا يبقى من يؤدى الأمانة إلا نادرا.

قال ابن العربى: المراد بالأمانة فى هذا الحديث: الإيمان، وتحقيق ذلك فيما ذكر من رفعها أن الأعمال السيئة لا تزال تضعف الإيمان حتى إذا تناهى الضعف لم يبق إلا أثر الإيمان، وهو التلفظ باللسان والاعتقاد الضعيف فى ظاهر القلب، فشبهه بالأثر فى ظاهر البدن، وكنى عن ضعف الإيمان بالنوم، وضرب مثلا لزهوق الإيمان عن القلب حالا بزهوق الحجر عن الرجل حتى يقع بالأرض "(٢). ا.هـ

والأمانة مؤداة إلى البر والفاجر، أى: هى لكل أحد، فمن لم يؤدها فى الدنيا طلب منه أن يؤديها فى الآخرة، فقد أخرج ابن جرير بسنده عن عبد الله بن مسعود- رضى الله عنه- عن النبى- ﷺ- قال: القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها، أو قال: يكفر كل شئ إلا الأمانة، يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حبنكة صـ ٦٥٢ .
(٢) فتح البارى حـ ١٣ صـ ٤٤ .

يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول: اذهبوا به إلى أمه الهاوية، فيذهب إلى الهاوية، فيهوى فيها حتى ينتهى إلى قعرها فيجدها هنالك كهيئتها فيحملها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوى فى أثرها أبد الآبدين "(١).

فعلى المرء أن يبادر بأداء الأمانة إلى أهلها قبل أن يأتى يوم لا يكون فيه درهم ولا دينار، وإنما هى الحسنات والسيئات، روى البخارى بسنده عن أبى هريرة- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله- ﷺ: من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من أى شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه "(٢).

هذا والتاريخ حافل بالنماذج المشرقة والمشرفة فى حفظ الأمانة وأدائها مهما كانت، ومن تلك النماذج ما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان بسنده عن أبى هريرة- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله- ﷺ: اشترى رجل من رجل عقارا، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب فقال للبائع- وفى رواية- فقال له الذى اشترى العقار: خذ ذهبك منى أنا اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب، وقال الذى شرى الأرض إنما بعتك الأرض وما

(١) جامع البيان لابن جرير جـ ٢٢ صـ ٤٠، شعب الإيمان للبيهقى جـ ٤ صـ ٣٢٣، تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٥٠٢.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٥ صـ ١٠١ كتاب المظالم، باب : من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له.

فيها، فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه: ألكما ولد فقال أحدهما: لى غلام، وقال الآخر: لى جارية، قال: فأنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكم منه وتصدقوا "(١).

قال البيهقى تعليقا على هذا الحديث: والقصد من الحديث بيان أمانتهما وترك ادعاء ما ليس لهما، ثم فى شريعتنا يرجع إلى من ملكت الدار عنه حتى يظهر مالكها "(٢).

ومنها حديث الإسرائيلى الذى أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة- رضى الله عنه- عن رسول الله- ﷺ: أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتنى بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، فقال: ائتنى بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها(٣) ، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك، وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بك، وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر، وإنى أستودعتكها،

(١) شعب الإيمان جـ ٤ صـ ٣٢٨ .

(٢) المرجع السابق جـ ٤ صـ ٣٢٩ .

(٣) قوله : (زجج موضعها) أى سوى موضع النقر وأصلحه من تزجيج الحواجب وهو حذف زوائد.

فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا الخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذى كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلىّ بشئ؟ قال: أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا "(١).

هذا وصدق الله إذ يقول: ﴿**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾(٢) الآية.

وقد بلغ أصحاب رسول الله- ﷺ- مبلغا عظيما فى العفة وأداء الأمانة، فقد كان الواحد منهم أمينا على بيت مال المسلمين لا يمد يده إليه رغم شدة حاجته، ومما يذكر فى هذا الصدد: أنه حمل مرة إلى عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- مال عظيم من الخمس، فقال: إن قوما أدوا الأمانة من هذا الأمناء،

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٤ صـ ٥٤٨ كتاب الكفالة، باب : الكفالة فى القرض والديون بالأبدان وغيرها، ودكره ابن كثير فى تفسيره جـ ١ صـ ٣١٦ ونسبه إليه وإلى الإمام أحمد فى مسنده، وذكره ابن العربى فى أحكام القرآن جـ ١ صـ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) الآية (٧٥) سورة آل عمران .

فقال بعض الحاضرين: إنك أديت الأمانة إلى الله فأدوا إليك الأمانة ولو رتعت لرتعوا "[1].

***

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية صـ ١٢ .

المبحث الثانى
أنـواع الأمـانة

• **مدخـل:**

ذكرت فيما سبق أن كلمة الأمانة متسعة المعنى ومتعددة الجوانب، فهى لا تقتصر على نوع خاص أو جانب معين، وإنما تشمل جميع الجوانب من حقوق الله تعالى وحقوق الناس، وقد قسم العلماء الأمانة إلى ثلاثة أنواع هى[1]:

١- أمانة العبد مع ربه.

٢- أمانة العبد مع الناس.

٣- أمانة العبد مع نفسه.

- **أما أمانة العبد مع ربه عزوجل**: فهى ما عهد إليه حفظه من الائتمار بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه، واستعمال مشاعره وجوارحه فيما ينفعه ويقربه من ربه، وقد ورد فى الأثر: أن المعاصى كلها خيانة لله عزوجل.

- **وأما أمانة العبد مع الناس**: فتشمل أمورا كثيرة منها رد الودائع إلى أربابها، وعدم الغش، وحفظ السر، ونحو ذلك مما يجب للأهل والأقربين وعامة الناس والحكام، ويدخل فى ذلك عدل الأمراء مع الرعية، وعدل العلماء مع العوام بأن يرشدهم إلى اعتقادات وأعمال تنفعهم فى دنياهم وآخراهم من أمور التربية الحسنة وكسب الحلال، ومن المواعظ والأحكام التى تقوى إيمانهم وتنقذهم من الشرور والآثام وترغبهم فى الخير والإحسان.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى حـ ١٠ صـ ١٤٣، تفسير المنار جـ ٤ صـ ١٧٥، تفسير المراغى جـ ٥ صـ ٧٠.

- **وأما أمانة العبد مع نفسه**: فذلك بألا يختار لنفسه إلا ما هو الأصلح والأنفع فى الدين والدنيا، وألا يقدم على عمل يضره فى آخرته ودنياه.

ومجمل القول فى أنواع الأمانات أن هذه الأنواع تندرج تحت قسم واحد، أو نوع واحد من الأمانات ألا وهو:

الأمانة الكبرى، فإن جميع الأمانات- كما يقول صاحب الظلال(١)- تبدأ من الأمانة الكبرى...الأمانة التى ناط الله بها فطرة الإنسان، والتى أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان... أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه، فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة، وعلى الإنسان أن يؤديها أول ما يؤدى من الأمانات، ومن هذه الأمانة الكبرى تنبثق سائر الأمانات، والتى منها:

أمانة الشهادة لهذا الدين...وهى أمانة الدعوة والتبليغ والبيان...وأمانة التعامل مع الناس، ورد أمانتهم إليهم...وأمانة النصيحة للراعى والرعية، وأمانة القيام على الأطفال الناشئة... وغيرها.

فالإنسان إذا راعى هذه الأمانة حق رعايتها وأداها على وجهها الصحيح إلى الله- سبحانه وتعالى- فهو ضمان وثيق لأداء الأمانات كلها لأن كل أمانة بعد ذلك هى جزء من الأمانة الكبرى وأثر من آثرها، فما بين الناس من معاملات مادية وعقود وعهود ينطوى تحت هذه الأمانة ".

وهذا إجمال نفصله فى المطالب التالية إن شاء الله تعالى.

---

(١) فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب جـ ٢ صـ ٦٨٨، ٦٨٩ .

المطلب الأول

أمانة العبد مع ربه

إن رعاية العبد للأمانة مع ربه تعنى فعل المأمورات وترك المنهيات، واستعمال جوارحه فيما ينفعه ويقربه من ربه، ولا شك أن هذه الأمانة هى أمانة التكاليف الشرعية التى عاهد الإنسان عليها ربه عزوجل، حيث حمل الإنسان على عاتقه أمانة الإيمان بالله وامتثال أوامره واجتناب نواحيه، وتحمل تبعه المخالفة والعصيان، وهذا العهد هو الذى أخذه الله عزوجل على بنى آدم وهم فى عالم الذر.

قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾(١).

فقد أخذ الله تعالى عليهم العهد بالإيمان به وهم فى صلب آدم وطلب منهم الوفاء بما عاهدهم عليه، فهى أمانة فى أعناقهم يجب رعايتها وحفظها وأداؤها على وجه مقبول.

قال تعالى- عن أمانة الإيمان والطاعة: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**﴾(٢).

---

(١) الآية (١٧٢) سورة الأعراف .

(٢) الآية (٧٢) سورة الأحزاب .

مناسبة هذه الآية لما قبلها:

يقول الإمام الألوسى- رحمه الله: لما بين- سبحانه- عظم شأن طاعة الله ورسوله، ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الأليم، ومنال المراعين لها من الفوز العظيم، عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل- مع الإيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام من غير جبر هناك ولا إيرام "(١). ا.هـ

ويقول الفخر الرازى: لما أرشد الله المؤمنين إلى مكارم الأخلاق وأدب النبى- ﷺ- بأحسن الآداب، بين أن التكليف الذى وجهه الله إلى الإنسان أمر عظيم فقال: ﴿**إنا عرضنا الأمانة**﴾(٢). ا.هـ

وقد تعددت أقوال المفسرين فى المراد بالأمانة هنا، فقيل: هى التكاليف، وعن ابن عباس- رضى الله عنهما- أنها الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها، فقال لآدم: يا آدم إنى قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ فقال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها، فذلك قوله: ﴿**وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**﴾.

وعنه- أيضا- أنها الفرائض التى افترضها الله على العباد، وقيل: إنها العقل، وفى قول أنها ما يؤتمن عليه العبد من أمانات وودائع ونسب هذا إلى ابن

(١) روح المعانى جـ ٢٢ صـ ١٣٨، تفسير أبى السعود جـ ٥ صـ ٤٣٢، محاسن التأويل جـ ١٣ صـ ٤٩٢٤، تفسير حدائق الروح والريحان جـ ٢٣ صـ ١٣٠.

(٢) التفسير الكبير جـ ٢٥ صـ ٢٣٥ .

مسعود- رضى الله عنه.

وقيل هى الصلاة..إلى آخر هذه الأقوال المتعددة "(١).

يقول الحافظ ابن كثير- بعد عرضه لهذه الأقوال: وكل هذه الأقوال لا تنافى بينها، بل هى متفقة وراجعة إلى انها التكاليف وقبول الأوامر والنواهى بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفقه الله "(٢). ا.هـ

فالتكاليف عامة فى كل ما كلف به الإنسان، ويدخل فيها الفرائض، وأما العقل فهو سبب التكليف إذ بدونه يسقط، وأما القول بأنها ما يؤتمن عليه العبد من أمانات وودائع فهى محافظة على حقوق الناس، وهى بعض التكاليف الشرعية، وأما القول بأنها الصلاة أو غيرها فهى من العبادات المفروضة داخلة فى التكاليف.

هذا والحكمة من التعبير عن التكاليف بالأمانة هى التنبيه على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الإنقياد والطاعة وأمرهم بمراعتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشئ من حقوقها "(٣).

---

(١) انظر : جامع البيان لابن جرير جـ ٥ صـ ٦٣، ٦٤، التفسير الكبير جـ ٢٥ صـ ٢٣٥، معالم التنزيل للبغوى جـ ٣ صـ ٤٧٠، ٤٧١، محاسن التأويل جـ ١٣ صـ ٤٩٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٥٠١، محاسن التأويل جـ ١٣ صـ ٤٩٢٥ .

(٣) محاسن التأويل جـ ١٣ صـ ٤٩٢٤، روح المعانى جـ ٢٢ صـ ٢٧٠، تفسير أبى السعود جـ ٥ صـ ٤٣٢.